خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٧/٠٦/٠٢م

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤) نحمد الله على أننا وجدنا فرصة لنشهد شهر رمضان آخر في حياتنا. يقول رسول الله ﷺ: لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها، وسأل شخص آخر، يا رسول الله، ما هي فضائل رمضان؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إن الجنة لتتزين لرمضان من رأس الحول إلى الحول. وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. وقال أيضا ما معناه: لو علمتم ما في رمضان من الفضائل لتمنيتم أن يكون رمضان السنة كلها.

إذًا، إن أفضلية رمضان لا تقتصر فقط على أيام هذا الشهر ولا على الامتناع عن الأكل والشرب، ولا يتم الاستعداد عند الله ولا تتزين الجنة لهذا الغرض فقط لذا فقد قال النبي ﷺ بكل وضوح في حديث آخر أنه من صام رمضان وهو مؤمن حق الإيمان وقضاه محاسبا نفسه ليل نهار فهو الذي ينال هذه الدرجة[1]. فإذا قضى المرء رمضان في هذه الحالة، عندها فقط سوف تُغفر له ذنوبه السابقة ويزداد المرء

[1] المقصود هو الحديث الآخر لأبي هريرة الذي يقول: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. (صحيح البخاري، كتاب الإيمان).

إيمانا وينتبه إلى نقاط ضعفه ويحاسب نفسه على أعماله وينتبه إلى حقوق الله وحقوق العباد ويحاول أن يجعل أعماله خاضعة لمشيئة الله تعالى، فلو فعل ذلك لغُفر ما تقدم من ذنوبه. هذا هو الهدف الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم للصيام في الآية التي تلوتها. وقيل فيها بأنه كُتب عليكم الصيام في شهر لعلكم تتقون. والمراد من التقوى هو أن يكون كل عمل من أعمالكم لنيل رضا الله تعالى، ففي هذه الحالة فقط تستطيعون أن تستفيدوا من الصيام وتجتنبوا هجمات الشيطان. فإذا صمتم خالصة لوجه الله متمسكين بأهداب التقوى ستحظون بحماية الله تعالى. ولو حظي المرء بحماية الله تعالى لتمكن من اجتناب هجمات الشيطان وإلا فهناك تحدٍّ معلَن من الشيطان أنه كلما حُرم الإنسان من حماية الله بطش به الشيطان فورا. إذًا، إن التقدم في الإيمان ومحاسبة النفس هو ما يجعل الإنسان يحظى بحماية الله، وهذا لا يمكن حدوثه إلا إذا كان المرء يسلك مسلك التقوى.

ماذا يجب أن تكون حالة إيمان الإنسان وتقواه، وما يجب أن يكون مستواهما؟ فهذا لا يمكن أن يخبر عنهما إلا مَن كلّفه الله تعالى بهذه المهمة، لا يمكن العثور على ذلك في العصر الراهن إلا بواسطة الخادم الصادق للنبي ﷺ وإمام الزمان لأن الله تعالى بعثه بوجه خاص لهذا الغرض. وكان مقدَّرا له وحده أن يعيد الإيمان إلى الأرض ويعلّم الناس أساليب خلق التقوى وترسيخه في القلوب. فنرى أن كتبه عليه السلام ومحادثاته في المجالس وتعليماته ترشدنا إلى تحقيق هذا الهدف من زوايا مختلفة.

يقول رسول الله ﷺ كما ورد في أحد الأحاديث: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. ولكن هذا ليس بأمر هيّن. لقد أخبرنا المسيح الموعود عليه السلام أنه لا يمكن للمرء أن يحظى بالإيمان الحقيقي ما لم يعرف اللهَ حق المعرفة. فقال عليه السلام: المهمة الكبيرة التي يجب أن نجتازها هي معرفة الله تعالى، وإذا كانت معرفتنا بالله تعالى ناقصة ومشتبهة وضبابية فلا يمكن أن يكون إيماننا ناصعا وساطعا. وكيف يمكن تحقق معرفة الله تعالى؟ ستحقق بتجلي صفة الله تعالى "الرحيم". وهذا سيحدث نتيجة إنشاء العلاقة بالله تعالى، وفي هذه الحالة نجرّب صفات الله تعالى للرحيمية والفضل والقدرة. ولا يمكن للمرء أن يجربها إلا إذا كان يعبد الله تعالى وكان على صلة متينة به سبحانه وتعالى.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "عندما يجرب الإنسان صفات رحيمية الله تعالى وفضله وقدرته تنقذه هذه الصفات من الأهواء النفسانية. والمعلوم أن الأهواء النفسانية تطل برأسها نتيجة الضعف في الإيمان واليقين. (فإن لم يكن الإيمان ضعيفا بل كان المرء يؤمن بالله إيمانا كاملا فلا تنشأ الأهواء النفسانية). يقول عليه السلام: بقدر ما يحب الإنسان راحة هذه الدنيا وأملاكها وثرواتها لا يحب نِعَم الحياة الأخروية

بالقدر نفسه. يقول الإنسان بلسانه فقط إنه يحب نعماء الحياة الأخروية، لأنه إذا كان يحب نعماء الحياة الأخروية في الحقيقة لسعى للحصول عليها بالقدر نفسه الذي يسعى للحصول على الأشياء الدنيوية بل أكثر من ذلك."

إذًا، يتبين من ذلك أن الإيمان الحقيقي بقدرة الله ورحيميته ووعوده مفقود وهناك حاجة ماسة للانتباه إلى هذا الأمر. ولا يمكن استيعاب هذا الموضوع جيدا إلا بعد الشرح والتوضيح أن الإيمان ليس بشيء بسيط، بل هو أمر عظيم وهدف عظيم أُعطيناه. فلا يكون الاستعداد للصيام إلى ثلاثين يوما أو لحلول شهر رمضان فقط إذ لا أهمية لهذين الأمرين بل إن أهميتهما تتجلى وتتحقق إذا شملت مساعينا كلها أعمالا نكسبها على مدى العامَ كله نتيجة تلقينا التربية والتدريب في هذا الشهر.

لقد وضَع النبي ﷺ أمامنا دستور العمل للحياة كلها في جملتين. ولكن يجب أن يكون معلوما أنه لا يكفي أن نقول بأفواهنا فقط بأننا صمنا إيمانًا واحتسابًا وبالتالي لابد الآن أن تُغفَر لنا جميع ذنوبنا لأن النبي ﷺ قال ذلك. كلا، ليس الأمر كذلك، بل عندما قال النبي ﷺ: من صام إيمانًا واحتسابًا، فهذا يعني أنه ينبغي علينا اختبار إيماننا على هذا المحك الذي هو محك للارتقاء في العلاقة مع الله تعالى، وهو محك للعمل بأوامره تعالى. فينبغي أن نرى ما إذا كنا نعمل بأوامره أم لا؟

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن حالة الإيمان وإصلاحها:

"الحق أن الإيمان بالله نوعان. الأول هو الذي يقتصر على الإقرار باللسان فقط ولا يؤثر في الأعمال والأفعال شيئا. *(أي يقتصر الإيمان على التلفظ باللسان ولا يظهر من خلال الأعمال)*

والنوع الثاني من الإيمان بالله هو الذي ترافقه الشهادات العملية. فما لم ينشأ الإيمان من النوع الثاني لا يمكنني القول بأن المرء يؤمن بالله تعالى. والذي لا أستطيع فهمه هو أن يؤمن المرء بالله ثم يرتكب الذنوب أيضا. الجزء الأكبر من أهل الدنيا مؤمنون من النوع الأول. أعلم جيدا أنهم يقرّون الإيمان بالله ولكني أرى أنهم مع إقرارهم هذا متلطخون بنجاسات الدنيا وشوائب الذنوب. فلماذا لا تتولد فيهم ميزة الإيمان بالله مع إيمانهم به عز وجل حاضرا وموجودا في كل مكان؟ ترون أن الإنسان إذا وجد أحط الناس درجة أيضا في المجتمع حاضرا أمامه فلا يسرق مالَه، فلماذا يتجاسر على مخالفة الله ونقض أحكامه مع إقراره بوجوده؟ *(واعترافه بالإيمان به)*

قال حضرته: أعترف أن معظم الناس في العالم يقرّون بلسانهم أنهم يؤمنون بالله تعالى، ومنهم من يسميه "برميشور"، ومنهم من يناديه God، ويسميه غيره باسم آخر. ولكن عندما يُمتحَن إيمانهم وإقرارهم هذا عمليا نضطر للقول بأنه ادعاء فارغ فحسب لا ترافقه شهادة عملية.

من طبيعة الإنسان أن إذا أيقن بوجود شيء سعى لاجتناب مضرته وحاول الاستفادة من منافعه. فمثلا لا يتشجع المرء على تناول سم الفأر لأنه يعلم أن مثقال ذرة منه أيضا يكفي لهلاكه، فلماذا لا تتولد بعد إيمانه بالله تعالى نتائج الإيمان الحقيقية. إذا كان الإنسان يؤمن بالله إيمانه بتأثير سم الفأر لخيّم الموتُ على عواطفه وأهوائه. وإلا فلا بد من القول بأن إيمانه ليس إلا كلاما بحتا، و لم يُحوَّل إيمانه إلى اليقين بل صاحبُه يخدع نفسه عند ادعائه الإيمان بالله. *(فينبغي أن يرتقي الإيمان إلى درجة اليقين الكامل، ويصطبغ بصبغته، لأنه بدون ذلك ليس هو إلا خداع النفس، أي منخدع من يقول بدون تحقق هذا الأمر أنه يؤمن بالله)*

يقول حضرته عليه السلام: "فالواجب الأول للإنسان هو أن يصلح إيمانه بالله، أي يُثبت بأعماله ألا يصدر منه ما يخالف عظمة الله وأوامره."

فهذا هو طريق المؤمن لمحاسبة نفسه. إن شهر رمضان يتيح لنا جوًّا خاصًّا حيث ينتبه الإنسان إلى العبادات والحسنات تلقائيًا نظرًا إلى اهتمام الآخرين بها، ففي مثل هذا الجو ينبغي علينا التوجه إلى العبادات والتركيز على كسب الحسنات والاهتمام بالأعمال الصالحة والاستغفار عما تقدّم من ذنوبنا من خلال الخضوع أمام الله تعالى. ثم ينبغي أن نجعل رمضان كهذا جزءًا دائمًا من حياتنا المستقبلية، وينبغي أن نسعى جاهدين أن لا نقترب من تلك الذنوب التي غُفرت لنا فيه، ونحافظ على العبادات التي قمنا بها والتغييرات التي أحدثناها ونحافظ على ما فُتح لنا فيه من أبواب الجنة، وعلينا بذل السعي خاضعين لله بكل تواضع لنظل مستفيضين بفيوض الله تعالى، ونحقق مستويات مطلوبة للتقوى التي وضعها الله تعالى هدفًا للصوم.

سأقدم من خلال أقوال المسيح الموعود عليه السلام بعض الأمور التي أفهمَنا إياها بطرق شتى من أجل الرقي في التقوى. لا تترقى الحالة الإيمانية للإنسان إلا عندما يترقى في التقوى. ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم المذكور: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا" هو: إن قضيتم هذه الأيام محققين الرقي المطلوب في التقوى جاعلين حالتكم تابعة لرضى الله تعالى – وإن نجحتم في تحقيق ذلك- فستصبح التقوى جزءًا من حياتكم، وفي هذه الحالة لن يقتصر الأمر على تحسين الحالة العملية في رمضان بل سيصبح هذا الفيض جاريًا مستمرًّا.

لقد وجّهنا إليه المسيح الموعود عليه السلام وقال: كان هدف القرآن وتعاليم الإسلام هو خلق التقوى، إلا أنه لا يُرى متحققًا اليوم لأن المسلمين يصومون ويصلون ولكن صلاتهم وصيامهم تجعلهم مذنبين لتجردهم عن التقوى. وما نراه اليوم من إرهاب يمارَس باسم الإسلام ويتم به قتل الأبرياء، سببه انعدام التقوى. وتحدث يوميًا مثل هذه الأعمال على يد بعض المسلمين، وقبل يومين قُتل في أفغانستان قرابة مئة شخص بطريقة ظالمة للغاية. هل يمكن أن يفيد رمضان هؤلاء؟ أو هل يمكن أن يحظى هؤلاء بفضائل رمضان وبفيوضه؟ كلا، لأنهم يعملون خلافًا لأوامر الله، ويبتعدون عن أحكام الله تعالى وبالتالي إنهم مبتعدون عن التقوى. ويتوافق تمامًا مع التعليم القرآني القول الآتي للمسيح الموعود عليه السلام: "إن الصلوات بدون التقوى لا جدوى منها بل هي مفاتيح جهنم." أي توجه مثل هذه الصلاة صاحبها إلى الجحيم. فكيف يمكن أن يفيد رمضان مثل هؤلاء الناس الذي هم متجردون عن التقوى؟

إن الذين يظلمون الناس باسم الله ورسوله لن ينالوا من بركات رمضان أبدا، بل سيقعون تحت بطش الله. ففي الوقت الذي نسمع فيه ونرى أحداث الفظائع والوحشية هذه، علينا نحن المسلمين الأحمديين أن نستغفر الله أكثر ونحمد الله أكثر على أنه قد فصَلنا عن هؤلاء الظالمين بتوفيقنا للإيمان بالمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وأن نفحص أعمالنا ونهتم بتقوية إيماننا. علينا أن نشكر الله على أن مسيحه الموعود قد هدانا إلى السبل الموصلة إلى الله تعالى. لقد قال عليه السلام: إن جذر الإيمان هو التقوى والطهارة، فبها يبدأ الإيمان، وبها يروى، وبها يُكبَح جماح أهواء النفس.

فقوله هذا قد زاد الأمر وضوحا وهو أن الإيمان لا يتولد بدون التقوى، وأن التقوى ليست جذر الإيمان فحسب بل بدونها لا يحفظ الإيمان ولا ينمو. بوجود التقوى تكون هناك الأعمال الصالحة، وبوجود الصالحات، أي الأعمال التي تتم بحسب رضا الله تعالى، يزيد الإيمان. لقد تبين من ذلك أيضا أن ثمار فضائل رمضان لا تجنى بدون الترقي في التقوى. فبزيادة التقوى يزداد المرء إيمانا ويهتم بفحص نفسه، فإذا فحص نفسه وأعماله تمكن من كبح جماح أهواء النفس. وكما ذُكر آنفا فإن كبح جماح أهواء النفس هو الذي يساعد على العمل بأحكام الله وعلى الفوز بقرب الله تعالى.

وقال المسيح الموعود عليه السلام وهو يوضح التقوى الحقيقية أكثر: لقد اندثرت من الدنيا التقوى الحقة التي تطهّر الإنسان وتنقيه، تلك التقوى التي من أجلها يأتي الأنبياء. قليل هم الذين هم مصداق لقول الله تعالى: (قد أفلح من زكاها). إن النقاء والطهر شيء رائع. إذا كان الإنسان طاهرا نقيا صافحته الملائكة. الناس لا يهتمّون بالطهارة وإلا لوجدوا كل لذة منشودة في الحلال بدلاً من الحرام. السارق يسرق من

أجل المال، لكنه لو صبر لأغناه الله بطريقة أخرى. ويقع الزاني في الفاحشة لكنه لو صبر لأشبع الله رغبته بطريقة أخرى فيها رضاه سبحانه وتعالى.

وقال عليه السلام: ورد في الحديث الشريف: لَا يَسْرِقُ السارق حِينَ يَسْرِقُ وهو مؤمن ولَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ. (أي لا تُرتكب هذه المنكرات إلا وقت خروج المرء من حالة الإيمان). إذ لا تقدر الشاة على أكل الحشيش إذا كان الأسد واقفا على رأسها. (معنى ذلك أن الذين يقعون في هذه المنكرات لا يكون عندهم الإيمان كإيمان الشاة أيضا)

وتطرق الحديث عن الأمر نفسه في مجلس آخر، فقال عليه السلام: ورد في الحديث الشريف لا يَسْرِقُ السارق حِينَ يَسْرِقُ وهو مؤمن. وهذا حق تماما. الشاة تنسى أكل الحشيش دَعْك أن ترعى في حقل الجار إذا ما كان الأسد قائما على رأسها. كذلك يستحيل أن يقع الإنسان في الإثم وهو يخاف الله تعالى.

وقال عليه السلام: التقوى هو الأصل المنشود، ومَن أوتيها فقد أوتي كل شيء، وبدونها يستحيل على الإنسان تجنُّب الصغائر والكبائر. إن أحكام الحكومات المادية لا تقدر على انقاذ الناس من الآثام، لأن الحكام لا يمشون مع الناس كل وقت حتى يخافوهم. إن الإنسان يقع في الإثم ظنًا منه أن لا أحد معه، وإلا لم يقع فيه. وحين يظن أن لا أحد معه يكون ملحدا. (فعندما يظن أن لا أحد معه فهو يظن أن الله لا يراه، لذلك فإنه يُعَدّ ملحدا في ذلك الوقت. إنه لا يفكر أن الله معه وأنه يراه وإلا لم يقع في الإثم)

وقال عليه السلام: إن التقوى هي كل شيء. وكل شيء متوقف على التقوى. لقد ابتدأ القرآن الكريم بالتقوى، فقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) إنما يعني التقوى نفسها. أي أن الإنسان يقوم بالعمل لكنه لا يجرؤ أن ينسب عمله إلى نفسه هو هيبةً من الله بل يرى أنه إنما وُفّق لذلك العمل بعون الله، فيطلب منه المزيد من المعونة. حيث يقول: (إياك نعبد)، فمع أنه يقوم بعمل العبادة، مقرًا إننا نعبدك، لكنه لا ينسب عمل العبادة إلى نفسه بل لا يلبث أن يقول: وإياك نستعين، أي أن هذه العبادة التي أقوم بها إنما هي نتيجة عونك، يا رب، وتوفيق منك، وإلا فإني لا أستطيعها أيضا. فهذا هو معيار التقوى الذي يجب أن نبلغه.

ثم يقول عليه السلام: والسورة التالية أيضا تبدأ بالتقوى أعني بقوله تعالى: هدى للمتقين. إن الصلاة والصوم والزكاة كل أولئك لا تحظى بالقبول إلا إذا كان صاحِبُها من المتقين. (فإنما تُقبَل أعمال الإنسان إذا كان متقيا وإلا فلا)

ثم يقول حضرته: عندها يزيل الله تعالى دواعي الإثم كلها (أي إذا كان المرء من أصحاب التقوى الكاملة فإن الله يزيل من أمامه كل ما يرغّبه في الإثم) فإذا كان بحاجة إلى الزوجة أعطاه إياها، ولو كان بحاجة إلى الدواء هيأ له الدواء. إنه تعالى يسدّ له كل حاجة من حاجاته، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

ويقول عليه السلام: هناك آية أخرى في القرآن الكريم وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

فقال عليه السلام: إن المراد من هؤلاء أيضا المتقون، أي الذين قالوا ربنا الله ثم تمسكوا بهذا المعتقد بصبر، أن الله هو ربنا، وهو الذي يسد جميع حاجاتنا، وهو الرب، تتنــزل عليهم الملائكة، قائلين: لا تخافوا ولا تقلقوا على ما صدرت منكم من أعمال في الماضي، لأنكم قد تحليتم بالتقوى الآن. يقول حضرته: إن المراد من هؤلاء هنا أيضا المتقون. ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي قد زُلزلوا وواجهوا الابتلاءات وهبت عليهم العواصف و لم ينقضوا العهد الذي قطعوه معه. فقد عاهدوا الله بالثبات والصبر. لا ينتظرون كل سنة أن يأتي رمضان فيعملون به، ويتحلون بالتقوى فيه، وأن أبواب الجنة تفتح لهم لشهر واحد، كلا، بل هو مشروط بالاستقامة. يقول حضرته: ثم يقول الله سبحانه وتعالى: حين أبدَوا الصدق والوفاء تنــزلت عليهم الملائكة جائزةً لهم أي تنــزل عليهم الملائكة وتقول لهم لا تخافوا ولا تحزنوا، إن الله يتولاكم. ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي افرحوا بهذه الجنة وتلك الجنة. يقول حضرته: إن المراد من هذه الجنة الجنةُ في هذه الدنيا وليست جنة العالم الآخر. بل الله يبشر المتقين بالجنة في هذه الدنيا، كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾. وبعد ذلك ورد ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فالله سبحانه وتعالى يغفر ذنوب الذين يعملون الحسنات بصبر ودوام، وليس ذلك فحسب بل يكرمهم بالنعم المادية ويكون وليّهم وكفيلهم في الآخرة أيضا. ما أسعد حظَّ أولئك الذين يسعون منا أن يعيشوا رمضان محدثين في نفوسهم تغييرا ومستجيبين لأوامر الله سبحانه وتعالى بصبر ويداومون على ذلك.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أكثر عن التحلي بالتقوى والاستقامة:

المؤمن الصادق يضطر للصبر في بداية الأمر. لقد أتى على الصحابة أيضا حينٌ من الزمن عاشوا فيه على أوراق الأشجار إذ لم تتيسر لهم كسرة خبز في بعض الأحيان. لا يسع أحدا أن يُحسن إلى أحد ما لم يشأ الله. عندما يتقي المرء يفتح الله له الباب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٣ – ٤) آمِنوا بالله إيمانا صادقا تنالوا كل شيء. فثمة حاجة للاستقامة والصبر.

الدرجات التي نالها الأنبياء إنما نالوها بالاستقامة إذ لا يتم شيء بمجرد الصلوات والصيام. (أي القيام بالصلاة وصيام رمضان وحده لن يجدي شيئا، إنما يُنال كل شيء بالصبر.)

فالله تعالى يريد أن يجعلنا متقين لكي تنفتح علينا أبواب أفضاله بغير حساب. فهو يفتح أبواب فضله للمتقين في رمضان بصفة خاصة.

لإحراز التقوى لا يكفي اجتناب السيئات وحده بل يجب إحراز الحسنات أيضا. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في بيان تفصيل ذلك:

من الضروري لإحراز لقب المتقي، أن يعزم المرء على اجتناب كبائر الذنوب مثل الزنا والسرقة وغصب الحقوق والرياء والعُجب والتحقير والبخل ويهجرها نهائيا ويجتنب الأخلاق الرذيلة كلها، ويتقدم مقابلَها في التخلق بالأخلاق النبيلة (أي يجب اجتناب الأخلاق الرذيلة كلها والتقدم في الأخلاق النبيلة، فهذا شرط مهم) وينبغي أن يقابل الناس بدماثة وحسن خُلق ومواساة، ويُبدي الوفاء الحق والصدق مع الله - سبحانه وتعالى - ويبحث عن مقام محمود للخدمات، (أي يجب أن يتحرَّى الخدمات والحسنات غير العادية الجديرة بالثناء عليها) فبهذه الأمور يسمَّى المرء متقيا، وإن الذين يجمعون (في نفوسهم) هذه الأمور هم المتقون الصادقون. (أي إذا كان أحد يتصف بأحد هذه الأخلاق فقط فلن يسمَّى متقيا ما لم تجتمع فيه الأخلاق الفاضلة كلها معا) ففي حق هؤلاء الناس ورد: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٣) فما الذي يريدونه أكثر من ذلك؟ إذ يكون الله - عز وجل - وليا لأمثال هؤلاء كما قال: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٧) فقد ورد في الحديث أن الله يكون أيديَهم الَّتِي يَبْطِشُون بِهَا وَأبصَارَهُم الَّتِي يُبْصِرُون بِها وآذانهم الَّتِي يَسْمَعُون بِهِا وَأرجلَهُم الَّتِي يَمْشون بِهَا. وفي حديث آخر ورد: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب".وفي موضع آخر قال ﷺ : عندما يهاجم أحدٌ وليَّ الله فإن الله يصول عليه كما تصول اللبوة غاضبة على من أخذ شبلها.

ثم يقول حضرته عليه السلام موضحا أهمية التقوى والهدف من بعثته:

لقد كلّفني الله بهذه المهمة لأن مجال التقوى خالٍ تماما. يجب التمسك بالتقوى بدلا من رفع السيف، فهو حرام. إن تتقوا الله يحالفكم العالم كله، فاتقوا الله. فالذين يشربون الخمر أو الذين صارت الخمرة لديهم الجزء الأعظم من شعائر دينهم لا يمكن أن تكون لهم أدنى علاقة بالتقوى، إنهم يحاربون الصلاح. فلو وهب الله تعالى جماعتنا حظا سعيدا ووفقهم لمحاربة السيئات والتقدم في مجال التقوى والطهارة لكان ذلك فوزا كبيرا ولا شيء أكثر منه تأثيرا. انظروا إلى أديان العالم كلها ترون أن هدفها الحقيقي أي

التقوى مفقودة وقد اتُّخذت وجاهة الدنيا إلها، واختفى الإله الحقيقي ويساء إلى الإله الحق ولكن الله يريد الآن أن يؤمن الناس به وتعرفه الدنيا. والذين يتّخذون الدنيا إلها لا يمكن أن يكونوا متوكّلين على الله.

ثم يقول حضرته عليه السلام ناصحا إيانا: إن الذين يريدون بعد مجرد البيعة أن يأمنوا بطش الله إنهم مخطئون وقد خدعتهم نفوسهم. إن لم يتناول المريض دواء بقدر ما يريده الطبيب كان الأمل في الشفاء عبثا.. يجب أن تزكّوا أنفسكم واتقوا الله إلى درجة تنقذ من غضب الله. إن الله تعالى يرحم المتبتلين لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لأظلمت الدنيا. إذا كان الإنسان تقيا يجعل الله بينه وبين غيره فرقانا.

يقول حضرته عليه السلام: على أفراد جماعتنا أن يخشوا الله. من كان يتحلى بالتقوى كما يريدها الله تعالى سيُنقَذ. لقد أسس الله هذه الجماعة للتقوى فقط لأن مجال التقوى خالٍ تماما.

فمجيء رمضان آخر في حياتنا وقول الله تعالى بأن الغاية من شهر رمضان هي نيل التقوى، وقول المسيح الموعود عليه السلام إنما أقام الله تعالى هذه الجماعة من أجل التقوى، كل هذه الأمور تُلقي علينا مسؤولية كبيرة، فعلينا أن نستمر في محاسبة أنفسنا كل حين، وأن نُحدث في أنفسنا تغييرات طيبة في هذه الأيام التي خصّها الله تعالى بفضله الخاص، ونسعى لرفع مستوى تقوانا كما يريده الله تعالى منا، ثم لا نقتصر على رمضان فقط بل نجعلها جزءا من حياتنا لا يتجزأ. وفّقنا الله تعالى لذلك.

سأصلي صلاة الغائب على خواجه أحمد حسين درويش قاديان وهو ابن السيد محمد حسين. وقد توفي في ٣١ أيار/مايو ٢٠١٧ عن عمر يناهز ٩٢ عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وُلد المرحوم في ١٩٢٦ في "سيكهوان" وهي قرية قريبة من قاديان، وكان جده من أمّه السيد إمام الدين وأخوا جده ميان نظام الدين وميان خير الدين صحابةَ المسيح الموعود عليه السلام. قضى المرحوم طفولته في حالة فقر شديد، وسكن مع أسرته في قاديان منذ أن كان في التاسعة من عمره، وبسبب الظروف الصعبة لم يستطع تحصيل الدراسة ولكنه كان توّاقا لها منذ طفولته فتعلّم أولا قراءة القرآن الكريم بجهده الشخصي، ثم صار يحضر مجالس المصلح الموعود رضي الله عنه مما زاد علمه. وحين قُسمت الهند اختار البقاءَ في قاديان باستشارة والدَيه ملبّيًا دعوة المصلح الموعود رضي الله عنه فأصبح درويشا. جاءت على الجماعة أيام حين لم يكن لديها مال لتدفع للدراويش رواتبهم وكانت مواردها محدودة فقالت لهم الجماعة أن يبحثوا عن عمل لهم في الخارج، ولما كان يعرف الخياطة، ذهب إلى جنوب الهند وأمّن قوته أثناء إقامته هناك من

١٩٥٣م إلى ١٩٦٢م، ثم عاد إلى قاديان وتوظّف في مكاتب هيئة صدر أنجمن أحمدية، وتقاعد في ١٩٨٩م، ثم فتح محلّا للخياطة مقابل باب المسجد المبارك إضافة إلى خدماته للجماعة.

كان ملتزما بالصلوات والتهجد وإنسانا هادئا وخلوقا، حضر الجلسة السنوية في بريطانيا عام ٢٠٠٥م. وُفّق ليشهد زمن أربعة من خلفاء الجماعة بدْءًا من الخليفة الثاني ﷺ إلى عهد الخليفة الخامس. كان يعمل أعماله بيده دوما، وكان يوصي أولاده بالتمسك بالخلافة.

كان زواجه الأول في أقاربه، وبما أن الجماعة أمرتْ أفرادها بإرسال نسائهم إلى الباكستان، ومع أن المرحوم قد تزوج في ١٩٤٦م ولكنه أرسل زوجته إلى باكستان، وبما أن أمّها لم تكن أحمدية ولم تكن تتعاون، فحصل الانفصال بين الزوجين. ثم تزوّج في ١٩٥٣م من السيدة حميدة بيغم في مدينة حيدرآباد دكن، وله منها أربع بنات وابن واحد. وابنه خواجه بشير أحمد يشتغل عميد مدرسة تعليم الإسلام في قاديان. وإحدى بناته السيدة سليمة قمر هي زوجة السيد نصير أحمد قمر وكيل الإشاعة الإضافي بلندن. وكذلك زوج ابنته الأخرى السيد حفيظ بهتي أيضا يخدم الجماعة في قاديان.

كتبت ابنته التي هي زوجة السيد نصير قمر: كان يملك ميزات متنوعة، كان ملتزما بالدعاء وإنسانا بسيطا ومكافحا وبشوشا ومحبا للخلافة وطيّبا للغاية. تقول: حين تزوّجتُ في ربوة فكنتُ حزينةً بعض الشيء، فقال: لا داعي للقلق فإنكِ محظوظة لأنك ستسمعين خطبةَ الخليفة كلّ جمعة مباشرة. كان المرحوم متعلقا بالمسجد ويحب الذهاب إليه لكل صلاة. وقبل بضع سنوات أُصيب بسكتة حتى لم يعد قادرا على الذهاب إلى المسجد فكان يدعو ويطلب من الآخرين أيضا أن يدعوا الله تعالى أن ينفخ في رجلَيه قوة حتى يتمكن من الذهاب إلى المسجد. باختصار، كان يملك ميزات كثيرة، رفع الله درجاته. (آمين)

رغم الفقر والضيق المادي أمَّن لبناته الدراسة حتى الجامعة، وكان ابنُه أيضا خريج الجامعة وحائزا على شهادة ماجستير وشهادة في التعليم، وكما أخبرتُ أنه يشتغل عميد مدرسة تعليم الإسلام، وفق الله تعالى أولاده وأجياله القادمة ليرتبطوا بالخلافة ارتباط الوفاء، وليتذكروا ما قدّمه المرحوم من تضحياتٍ ويوفقهم ليكونوا أوفياء للجماعة. (آمين)

******